تقرير خاص عن:

عبدالله محمد احداد
جامعة السوربون - باريس

تدريس اللغة الكردية في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية الحية في باريس

● الحديث عن اللغة الكردية في معهد اللغات والحضارات الشرقية الحية في باريس ، حديث ذو شجون وتشعبات كثيرة ، وانه يتطلب الرجوع الىٰ مجموعة من المراجع والأطلاع علىٰ العديد من الوثائق . . كما يتطلب إلماماً خاصاً ببعض التفاصيل الضرورية التي من شأنها إلقاء الضوء على الجوانب التي نطمح التعرف عليها .

● ان الاغلبية الساحقة من المثقفين الكرد ، ينظرون الىٰ وجود مركز رسمي لتدريس اللغة الكردية في هذا المعهد ، نظرة رومانتيكية مقرونة بالاعجاب والتقدير . . وهم علىٰ حق في نظرتهم هذه . . لأن هذا المعهد واحد من المعاهد العالمية الشهيرة ، وان تخصيص درس لتعليم اللغة الكردية فيه ، وكذلك تخصيص محاضرة اسبوعية عن التاريخ والحضارة الكردية ، يكتسب أهمية كبيرة ، وهو دليل حي على كون اللغة الكردية ، لغة شرقية مهمة ، وان اهمال هذه الحقيقة ، لا تجلب أية فائدة حتىٰ على الذين يتصورون بأنهم منتفعون منها .

● لست هنا بصدد تقييم مستوىٰ التدريس ، ولا بصدد المنطلقات المتحكمة في دراسة تاريخ وحضارة الشعب الكردي . . كما لا نريد التطرق الىٰ بعض وجهات النظر بشأن الكفاءة الشخصية لهذا الفرد أو ذاك . . أن مثل هذه الامور تجرنا الىٰ التوغل في أمور جزئية وتفصيلات لا نعتقد بانها ستسهم في التعرف علىٰ أساسيات الموضوع .

ان الهدف في إعداد هذا التقرير هو تسليط الضوء علىٰ أمور غير معروفة بالنسبة الى القارئ ، وخاصة بالنسبة الى الذين يهتمون بالموضوع . . لأن الكثيرين لا يعرفون شيئاً يذكر عن تأريخ تدريس اللغة الكردية ولا عن الاشخاص الذين قاموا بتدريسها أو كلفوا بالقاء محاضرات عن التاريخ الكردي ، وليس عندهم تصوّر واضح عن مناهج الدراسة ولا عن الشهادة التي يمنحها هذا المعهد .

● لا ازعم باني كنت أعرف الكثير عن هذا الموضوع ، لقد كنت أبحث كسائر زملائي واخواني من العاملين في حقل الادب والثقافة الكردية عن أجوبة واضحة ودقيقة لأسئلة كثيرة . . وما كان العثور علىٰ الاجوبة أمراً يسيراً . . وأظن بأن هذه هي المرة الأولىٰ ينبري فيها كاتب كردي للكتابة عن الموضوع ، وخاصة بالنسبة لنا نحن في العراق ، وهو يحاول الاجابة عن الاسئلة التي ظلت بدون جواب فترة طويلة . . كما لا أريد أن أدعي ، بأني استطعت الاجابة عن الاجوبة بالصورة المنشودة . . أن كل ما أطرحه هنا ، نابع من التجربة والمتابعة . . ففي عام ١٩٨٣ حللتُ على باريس ضيفاً لأجل تكملة دراستي العليا في حقل الادب الكردي في جامعة السوربون . . لقد كانت مقتضيات مرحلة الاعداد – وخاصة في العام الجامعي ١٩٨٣/ ١٩٨٤ – تتطلب متابعة بعض الدروس والمحاضرات في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية الحية . . ومن ضمنها محاضرة اسبوعية أمدها ثلاث ساعات عن

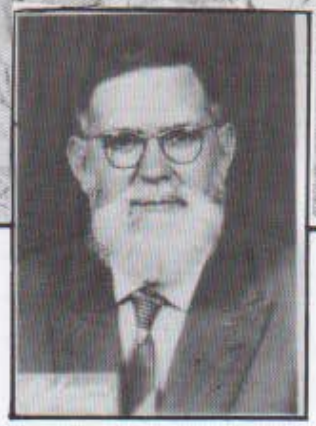

التاريخ والحضارة الكردية . . وذلك إضافة الىٰ قيامي بمتابعة المميزات الأساسية المتعلقة بالدراسات العليا في جامعة السوربون . .

لقد تسنىٰ لي – خلال تلك السنة – الوقوف على بعض ملامح الدراسة في المعهد المذكور . . وفي الحقيقة ما كان لي حاجة الىٰ شهادة ذلك المعهد . . وأن مبادرتي بالتسجيل في قسمين من أقسامه المهمة ، كان بهدف تعميق معرفتي على المناهج والأساليب المتبعة في مجال الدراسات الشرقية وكذلك لأكتساب المزيد من الخبرة والمعلومات النظرية في الحقول التي تساهم في فتح آفاق جديدة لدراسة الادب الكردي وتأريخه .

كان العام الجامعي ١٩٨٤/٨٣ ، رغم جميع الصعوبات التي اكتنفتها بسبب كثرة المحاضرات والدروس وفي اماكن متفرقة ، وأنكبابي على اعداد بحثي عن الشاعر الكردي الشيخ رضا الطالباني (١٨٣٥ – ١٩١٠)[1] ، كان عاماً غنياً بالتجارب وتحصيل الخبرات وانعكست مردوداته الايجابية علىٰ الخطوات التالية . . لقد توسعت خلاله دائرة معارفي اكثر . . وتعرّفت علىٰ عدد كبير من المدرسين والطلبة من مختلف الأقوام والجنسيات ، وتكوّن عندي تصوّر أقرب الى الواقع عن طبيعة التدريس وأهدافه ووسائله . . وغدا بوسعي المقارنة بين مستويات التدريس من فرع الى آخر . .

لمحة عامة عن المعهد

يعتبر هذا المعهد من أعرق معاهد باريس العلمية ، فقد تأسس سنة ١٧٩٥ وكان يطلق عليه تسمية «المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية (Ecole National des Longues Drientales Vivantes) تغيّر أسمه عدة مرات ، حيث أطلق عليه اسم «المركز الوطني . . . . .» (Centre National ... (١٩٦٧ ؟) غير أن هذا الأسم سرعان ما أختفى بعد عام واحد فقط ، اذ تقرر أن يطلق عليه اسم : «المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية الحية» (Inistitat Nationale des Langues et Civilisations Orientales Vivantes) ان الادارة الخاصة بالشرق الأقصىٰ والشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المعهد تضم حالياً أربعة أقسام رئيسية ، وهي :

١ – قسم الحضارة .
٢ – قسم الدراسات العربية .
٣ – قسم الدراسات الايرانية والتركية .
٤ – قسم الدراسات العبرية . .

وتدرس فيه اللغات التالية :

– العربية الفصحىٰ . لهجة المغرب العربي . لهجة المشرق العربي .
– الكردية . الباشتو (أي البشتو – الافغانية) . الفارسية والتركية . . . الخ .

ويضطلع المعهد أيضاً بتدريس الجغرافية والتاريخ (أي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية) لدول الشرق الاوسط والشرق الأدنىٰ وشمال أفريقيا .

يقبل في المعهد خريجو الأعداديات وغيرهم من المولعين بتعلم اللغات الشرقية الحية ، فبالأضافة الىٰ الغالبية العظمىٰ من الشباب ، تلتقي أحياناً بعدد من الذين تجاوزوا الخمسين أو الستين من العمر ، يداومون بحماس منقطع النظير لتعلم تلك اللغات . . ولا يتخذ التسجيل صيغته النهائية للطلبة «الأجانب» (غير الفرنسيين) ما لم يعبروا إمتحان اللغة الفرنسية بنجاح بالنسبة للأقسام الرئيسية المهمة ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .

يشترط في الطالب الذي يبغي الحصول علىٰ دبلوم المعهد ، أن يتابع اضافة الى دروس اللغة ، ما لا يقل عن محاضرتين في الأسبوع من ضمنها الدراسات الاسلامية Islamologie فلا يكفي أن ينجح الطالب في امتحانات اللغة التي يدرسها (حيث ان هناك مجموعة كبيرة من طلبة الشرق الاوسط يتسجلون في اللغات التي درسوها في بلادهم ويتقنونها لغرض الحصول على الاقامة أو علىٰ الشهادة) . إنما من الضروري أن ينجحوا ايضاً

في الدروس الاساسية الاخرىٰ ، وأن العديد من الطلبة يخفقون بسبب عدم نجاحهم في الدراسات الاسلامية ويعيدون هذا الأمتحان سنوات تطول الى خمس أو ست ! .

اللغة الكردية :

رغم تاريخه العريق ، لم يخصص المعهد درساً دائمياً لتدريس اللغة الكردية إلاّ بعد الحرب العالمية الثانية . . وهذه المسألة تثير تساؤلات كثيرة . . ولكن ، الأمور تتوضح ، إذا علمنا أن متطلبات السياسة والمصالح الأقتصادية والثقافية ، تستدعي (في احيان كثيرة) التركيز على حقل معين . . وقد يكون السبب في اهمال حقل ما ناجماً عن عدم وجود الكادر المؤهل الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة لأنعاشه .

أما بالنسبة الىٰ موضوع تخصيص درس كردي (رسمي) ودائمي في المعهد ، فموضوع خصوصية تكاد تكون فريدة من نوعها . . اذ أنها تتعلق – بكل بساطة – بالوضع الخاص والمعقد للشعب الكردي .

محاولات :

بالرغم من عدم إستحداث درس دائمي لتدريس اللغة الكردية في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية الحية في باريس إلاّ في وقت متأخر جداً ، إلاّ أن الموضوع كان في المواضيع التي أشغلت بال العلماء والمستشرقين الكبار وجذبت انظار إدارة المعهد اليه منذ مدة طويلة وذلك لاسباب علمية . . وحسب معلوماتي فانه جرت محاولة جدية سنة ١٩٣١ لاستحداث كرسي دائمي (تكميلي) لتدريس اللغة الكردية ، فمن خلال وقوفي علىٰ بعض أوراق المستشرق الفرنسي الكبير لويس ماسينون (Louis Massignon) المحفوظة في احدىٰ مكتبات وحدة الدراسات والبحوث الشرقية في جامعة السوربون الجديدة ، باريس ٣ ، إطلعتُ على بعض الوثائق المتعلقة بالموضوع ، علىٰ اعتبار أن ماسينون عمل فترة طويلة في مجال الدراسات الاسلامية والشرقية ودرّس ايضاً في المعهد المذكور ، وكان له إهتمام خاص بالدراسات الكردية . . ولعل المقدمة التي كتبها لكتاب «الاكراد» (Les Kurdes) لبازيل نيكيتين (Basile Nikitine) خير شاهد على هذا الأهتمام . . وان ابرز ما لاحظته ضمن اوراقه ، كتاب مخطوط عن الكرد .

● سأتناول هنا ، وثيقتين مهمتين تفيدان موضوعنا هذا بدون شك ، وهما محفوظتان أيضاً ضمن اوراق ماسينون ، إحداهما عبارة عن رسالة رسمية مؤرخة في ١٩٣١/٨/٧ موقعة من قبل مدير المعهد (المدرسة) آنذاك وموجهة الىٰ السفير الفرنسي في سوريا ولبنان ، وتقع في ثلاث صفحات – مطبوعة على الآلة الكاتبة – ، والوثيقة الثانية ، عبارة عن رسالة مؤرخة في ١٩٣١/١١/١٦ موجهة من قبل البروفيسور ماسينون الى الكابتن بير تيري (Capitain Pierre Terrier) الديوان العسكري (للمندوب السامي ؟) الفرنسي في بيروت . وهي تقع في صفحتين مطبوعتين على الآلة الكاتبة .

تكشف الرسالتين جانباً غير معروف عن أهمية اللغة الكردية والمحاولات التي جرت سنة ١٩٣١ لأستحداث كرسي دائمي (تكميلي) لتدريسها ونظراً لأهمية المعلومات الواردة فيها ، فأنني أنتهز هذه المناسبة لترجمتها من الفرنسية وتقديمها للقراء الأعزاء .

رسالة مدير المعهد :

إن الرسالة موجهة الىٰ السفير الفرنسي في (سوريا ولبنان) السيد پونسوّ (Ponsot) ومؤرخة في ١٩٣١/٨/٧ وموضوعها : «معلومات عن الكرد في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية» حيث جاء فيها :

«ينبغي تدريس اللغة الكردية لذاتها ، بغض النظر عن مردوداته السياسية (سلباً وايجاباً) .

لأن تدريس اللغة الكردية – كما تشير الرسالة – ينطوي علىٰ فائدتين ؛ فائدة لغوية ، لكونها من «اللغات المتقاربة باللغات

الايرانية . .» «وان الأدب الكردي ، يستحق أن يدرس ، وبناء على النص الوارد في دائرة المعارف البريطانية : من الخطأ الأفتراض بانه ليس هناك أدبٌ كردي . .»

«أما الفائدة الثانية ، فهي فائدة إنسانية ، حيث أن أكثر من مليونين ونصف المليون يتكلمون بهذه اللغة . .» .

وتطرقت الرسالة الى نقطة مهمة اخرى ، وهي «وسائل التدريس» ، حيث اكدت ، بأنه كان «هناك درس ثانوي (او تكميلي) في مدرسة اللغات الشرقية الحية . . وإن هذا الدرس سيغدو درساً رسمياً ، بحيث لا يمكن أن يدّعي أحدٌ بأن سبب إحداثه يعود الى عوامل سياسية مرحلية . .» وحددت – الرسالة – التكاليف الحالية (في سنة ١٩٣١) للدرس التكميلي (او الثانوي) في مدرسة اللغات الشرقية الحية بأربعة وعشرين ألفاً وسبعمائة واربعين فرنكاً ، بينما سترتفع الى ثلاثين ألف فرنك في حالة «استحداث درس دائمي . .» .

من سيكلف بالتدريس ؟

أجاب مدير مدرسة اللغات الشرقية الحية بنفسه عن هذا السؤال في رسالته ، اذ كتب يقول :

ان السيد مينورسكي (Minorisky)[٢] ، ذا الجنسية الروسية وقنصل بالبعثة الروسية في طهران قبل الحرب (أي الحرب العالمية الاولىٰ – ع . م) بانتظار التجنس المحتمل بالجنسية الفرنسية ، هو الذي سيكلف بالتدريس . . اذ أنه خدم بشكل مرضي ضمن الأطر الفرنسية كما سيتبين ذلك من الكردنولوجية الآتية :

– ١٩٢٥ – ١٩٣٠ : قام بالقاء درس حرّ عن الشعر وكذلك عن اللغة الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية الحية .

– ١٩٢٥ – ١٩٣٠ : قام بتدريس اللغة التركية نيابةً عن الاستاذ دوني (J. Deny) في جميع سنوات الدراسة .

وبعد أن اشارت رسالة مدير المعهد الى تواريخ القرارات الصادرة بتكليف مينورسكي بتلك المهات ، أضافت :

«لقد ناب السيد مينورسكي ايضاً في السنة الدراسية ١٩٣٠ – ١٩٣١ عن السيد Wiet «ويت» مدرس جغرافية وتاريخ وتشكيلات بلدان الشرق الأوسط ، وذلك بموجب القرار الصادر بتاريخ ٣٠ كانون الأول ١٩٣٠ .» . .

وأطرت الرسالة بكفاءات السيد مينورسكي ، حيث اكدت بأنه : «متخصص في اللغة العربية ، ومتعمق في الدرسات التركية كما أنه متخصص في اللغة الفارسية . . فهو إذن أحسن متخصص مؤهل في الوقت الحاضر (١٩٣١) لتدريس اللغة والأدب والتأريخ الكردي . .» .

وفي خاتمة الرسالة ، ثبتَ مدير مدرسة اللغات الشرقية ملاحظة ألمحَ فيها بأنه في حالة احداث درس تكميلي لتدريس اللغة الكردية في المدرسة المذكورة من قبل الأنتداب الفرنسي في سوريا ولبنان ، فان القوميسور الأعلى (أو المندوب السامي ؟) للجمهورية (الفرنسية) في سوريا ولبنان ، هو الذي سيقرر ما إذا كان ستجري الاشارة في برامج التدريس ، بان استحداث هذا الدرس تمّ من قبل الانتداب الفرنسي ام لا ، «مع العلم ، ان هذه الأشارة ستثير تفسيرات غير مرضية . .» .

● ان هذه الملاحظة تعني بأن المسؤولين عن المدرسة (المعهد) ، ما كانوا يحبذون أن تجري الأشارة بان الأنتداب الفرنسي على سوريا ولبنان ، له ضلع في استحداث هذا الدرس ، لأنها ستوحي ، بأن خلف الموضوع أغراض سياسية ، في حين أن ادارة المعهد ، كانت ترىٰ ضرورة تدريس اللغة الكردية «ذاتها» نظراً لفائدتها «اللغوية» و «الأنسانية» . . لكون اللغة الكردية لغة شرقية حية . . وأن «الأدب الكردي يستحق أن يدرس» وأنه «من الخطأ الأفتراض ، بانه ليس هناك أدب كردي» .

كانت المعضلة تتعلق بالمستشرق «مينورسكي» الروسي الذي لم يكن يحمل الجنسية الفرنسية . . لقد كان «بانتظار» تجنس محتمل» – على حد تعبير مدير المعهد – لكن القانون الفرنسي والى بداية الثمانينات ما كان يجيز إعطاء وظيفة دائمية – وخاصة في مجال التدريس الى غير الفرنسيين – ، فبالرغم من أن

مينورسكي بشهادة – مدير مدرسة اللغات الشرقية – كان قد ناب عن اساتذة فرنسيين و «خدم بشكل جيد ضمن الأطر الفرنسية» . . فأن موضوع احداث درس تكميلي لتدريس اللغة الكردية ، ظل معلقاً .

رسالة ماسينون :

أما رسالة البروفيسور ماسينون المؤرخة في ١٩٣١/١١/١٦ ، فهي في الظاهر رسالة شخصية موجهة الىٰ مسؤول عسكري فرنسي كبير في بيروت – ربما كانت تربطه به علاقة صداقة – وهذا المسؤول هو الكابتن بيير تيري (الديوان العسكري للانتداب الفرنسي في بيروت) . . ويبدو بأنه كتبها بعد المشاورة مع مدير مدرسة اللغات الشرقية الحية ، لتكون بمثابة تأكيد او تذكير علىٰ الرسالة الرسمية السابقة . ، ونستشرف من صيغة الرسالة ، بان ادارة المدرسة لم تتلق الجواب على الرغم من مرور اكثر من ثلاثة أشهر على إرسالها . . وقبل ايراد المزيد من التعليقات . يجدر بنا أن نقف علىٰ مضمونها .

● عبر ماسينون عن أسفه لعدم سنوح الفرصة له لرؤية صديقه (الكابتن) اثناء زيارة هذا الاخير لباريس . . ثم انعطف مباشرة وبدون اية مقدمات للحديث عن اللغة الكردية ، فنراه يتكلم بصيغة الجمع : «أننا نعتبر من المفيد . .» أن تستفيد الدراسات الشرقية «في باريس من وجود لهجات كردية في سوريا . .» . ثم يقول : «ينبغي – بالطبع – إجتناب الحساسيات ذات الطابع السياسي ، لقد أوضحت لعدد من اللغويين الاكراد ، أن مشروعهم الخاص بتشكيل جمعية علمية كردية ، يهمني ، وانه ينبغي الأعتناء به كثيراً وبصورة جدية . . لقد جرى عرض الموضوع علىٰ نيابة «وفد ؟» دمشق هذا الربيع لأجل تحديد اوجه نشاطات الجمعية بوضع قاموس ونشر مطبوعات دورية لبعض النصوص على شكل مجلة علمية – فقط . . .» .

« . . النقطة الاساسية التي تهمنا ، هي تكوين فرنسيين متخصصين في اللغة الكردية (٢ – أو ٣ أشخاص» ، وقد سلم صديقي پول بووه بي مدير مدرسة اللغات الشرقية رسالة الى السفير بتاريخ ١٩٣١/٨/٧ بصدد الموضوع ، عرض فيها الشروط التي يمكن في اطارها ، استحداث درس تكميلي لتدريس اللغة الكردية . . . .» .

ويسترسل ماسينون في رسالته قائلا :

«يوجد بيننا في باريس متخصص بارع في اللغة الكردية وهو السيد مينورسكي – ذو الجنسية الروسية ، ومن المحتمل ان يمنح لهُ الجنسية الفرنسية وهو بانتظارها» ولقد تم تكليفه منذ عام ١٩٢٦ بالتدريس في مدرسة اللغات الشرقية (اللغة التركية وتاريخ الشرق الأوسط) . وان عمله في التدريس هذا يمكن أن ينتهي في آذار (Mars) سنة ١٩٣٢ ، لأن المدرس الرسمي سيعود الىٰ باريس في هذه الاثناء . .» .

«ومن المهم أن تتكلموا مع السفير عن هذا التأخير ، لأن الشخص الذي ننوي تعيينه (اي مينورسكي) في مدرسة اللغات ، اذ كُلِّف بتدريس اللغة الكردية خلال السنة ، فهو لن يكون سبباً في إثارة أي نوع من الحساسيات ذات الطابع السياسي ، ولن يُكلف ميزانية سنة ١٩٣٢ سوىٰ مصاريف جد قليلة مقارنة مع الراتب السنوي الكامل . .» .

دور ثريا بدر خان :

لقد قلنا أن ماسينون كتب رسالته تلك بعد المشاورة مع إدارة «مدرسة اللغات الشرقية الحية» ولكنه تطرق فيها الى جديدة أخرى : (مشروع الجمعية العلمية الكردية) . . ولقاءه مع (لغويين اكراد) : وفي الرسالة اشارات تؤكد بأنه (اي ماسينون) يلح على صديقه الكابتن (الذي ربما كان احد تلامذته او زملائه في السابق) ليتوسط عند السفير باستحداث درس كردي تكميلي واستغلال فرصة وجود مينورسكي المتخصص البارع في اللغة الكردية في باريس ، كما لا ينسىٰ أن يخفف من الآثار السياسية لهذه الخطوة .

● وقد يتساءل البعض عن سر هذه الحماسة ومن هم اللغويين الاكراد الذين التقىٰ بهم ماسينون ؟ .

سنختصر الطريق للاجابة على هذه التساؤلات وغيرها ، بالرجوع ، الى اوراق البروفيسور ماسينون ايضاً . . فقد أطلعتُ علىٰ رسالة قصيرة مؤرخة في ١٩٣١/١١/٧ موجهة الىٰ المرحوم ثريا بدر خان ، تقول الرسالة :

● «عزيزي السيد (ثريا بدر خان) .

إذا كنتَ متواجداً في باريس ، فتفضل اذن الىٰ داري يوم الاربعاء في الساعة الحادية عشرة والنصف . .» .

يتضح هنا، أن عشرة ايام فقط يفصل بين تاريخ رسالة ماسينون في ١٩٣١/١١/١٦ الموجهة الى صديقه الكاتب في لبنان ، ورسالة دعوته للمرحوم ثريا بدر خان (١٩٣١/١١/٧) ، وهذه الملاحظة تعني ، بأن ثريا بدر خان ، حدّث صديقه ماسينون في لقائهما (يوم الاربعاء ؟) ، عن أهمية الاسراع باحداث درس كردي في مدرسة اللغات الشرقية وحدّثه ايضاً عن مشروعهم (مشروع الجمعية العلمية الكردية) طالباً منه مؤازرته والتوسط لدىٰ «المسؤولين الفرنسيين» في سوريا ولبنان لمعاونتهم . . وربما كان معه في هذا اللقاء أخوه المرحوم جلادت بدر خان . . ومن هنا جاءت اشارة ماسينون الى لقائهِ مع لغويين اكراد .

ان هذه النقطة تسلط المزيد من الضوء على الجهود التي كان يبذلها البدر خانيون في سوريا في سبيل تطوير اللغة الكردية وخدمة التراث الثقافي الكردي . . ولعل هذه النقطة ، ستكشف لنا ، عنْ الدوافع والمشاعر الاصيلة التي حدتْ بالدكتور كامران بدر خان (الأخ الأصغر لثريا بدر خان) ليضطلع بمهمة تدريس اللغة الكردية بعد ذلك بالتأريخ بعشرين عاماً ، تبرعاً وبدون راتب لمدة (١٢) عاماً ، وسوف نتطرق الى هذه النقطة فيما بعد .

متىٰ استحدث كرسي دائمي لتدريس اللغة الكردية ؟ .

بعد أن تطرقنا الى الجهود المبذولة لأستحداث كرسي (Chaire) دائمي لتدريس اللغة الكردية في عام ١٩٣١ ، حيث كان كبار المستشرقين ، يرون ضرورة تدريسها ، لذاتها ، لأهميتها اللغوية والأنسانية ، ويحاولون توضيح الصورة ، بالصيغة المناسبة ، للذين بيدهم الأمر . . وكانوا ، ايضاً ، يحاولون الأستفادة من خبرات وطاقات البروفيسور «مينورسكي» الروسي الجنسية والذي كان قد التجأ الى اوربا بعد الثورة الروسية . . ومما لا شك فيه ، ان هؤلاء كانوا يطمحون – كذلك – الى تكوين كادرين او ثلاثة من الفرنسيين في مجال الدراسات الكردية ، لضمان استمرار الدرس وإبقاء التدريس بأيدي فرنسية مستقبلاً . .

لقد كانوا ينظرون الى الموضوع من عدة زوايا : –

الزاوية العلمية – الموضوعية ، والزاوية الاداوية – المالية . . واخيراً الزاوية السياسية .

فمن الناحية العلمية ، كانوا يرون بأن اللغة الكردية ، لغة شرقية حية ، وان هناك كادر مؤهل قادر على الاضطلاع بمهمة تدريسها ضمن الأطر الفرنسية ، ومن الزاوية الادارية ، ما كانوا يجدون بأن هناك ثمة عقبات ادارية او مادية تحول دون تحقيق المشروع . . واما من الزاوية السياسية ، فانهم كانوا يطرحون وجهات نظرهم ، بالاسلوب الذي لا يثير اية حساسية سياسية .

على أية حال ، ان تلك الجهود ، لم تثمر ثمرتها المنشودة في حينها (اي سنة ١٩٣١) ، ولكن المشروع ظل أملاً يراود اذهان العلماء .

● ليس بين ايدينا معلومات مؤكدة حول التاريخ الدقيق لاستحداث كرسي لتدريس اللغة الكردية . . رغم أن مدير المعهد – في رسالته التي تطرقنا اليها آنفاً – يشير ضمنياً بوجود درس تكميلي أو ثانوي ، دون أن يقدم لنا أية تفصيلات أخرىٰ فيما يتعلق بطبيعة هذا الدرس الثانوي ، وما إذا كان مكرساً لتدريس اللغة الكردية – حتىٰ وان كان ذلك بصورة غير رسمية . . . ورغم أن السيدة جويس بلوّ (Joyce Blau) قد أشارت في كتابها الموسوم بالمشكلة الكردية (Leprobleme

(Kurde المطبوع في بروكسل سنة ١٩٦٣ بأنه : «يوجد في فرنسا درس عن اللغة الكردية وعن التاريخ الكردي وجغرافية منطقة كردستان منذ عام ١٩٤٥ في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية . .» (ص – ٣) . ولكن هذه الاشارة بحاجة الى بعض التحقيق . . اذ أن السيدة جويس بلو ، اكدت لي في لقاء خاص ، بأنها نقلت الكلام دون التحقق من دقته . . ولغرض القاء المزيد من الضوء على الموضوع ، فقد أجرينا حواراً معها ، حول الجوانب المختلفة لتدريس اللغة الكردية .

حوار مع السيدة جويس بلو

السيدة جويس دوانكين بلو Joyce Dewangen Blau من مواليد سنة ١٩٣٢ ، استقرت في باريس سنة ١٩٥٥ فحصلت على الليسانس في اختصاص اللغة العربية وعلى ديبلوم المتريز (Maitrise) سنة ١٩٦٢ ثم حصلت على ديبلوم الدراسات المعمقة (D. E. A) الذي يعادل الماجستير ، بعد ذلك حصلت على دكتوراه الحلقة الثالثة (Doctorat de 3 eme Cyecle) سنة ١٩٧٣ وقد درست بالاضافة الى اللغتين العربية والكردية ، اللغة الفارسية ايضاً . كما انها حصلت على ديبلوم في علم اللغة العام . وهي المكلفة بتدريس اللغة الكردية في معهد اللغات الشرقية ، وتقديم محاضرات عن التاريخ والحضارة الكردية . . ومن الناحية الادارية تقوم بمهام مساعد مدير المعهد المذكور . وقامت السيدة جويس بلو بعدة سفرات الى عدّة بلدان ، حيث زارت العراق عدة مرات ، كما زارت سوريا والاتحاد السوفيتي (حيث حلت في موسكو ولينغراد) وتعرفت على طبيعة الدراسات الكردية هناك .

● جواباً عن سؤال يتعلق بعدم نجاح الجهود التي بذلت عام ١٩٣١ لتخصيص درس كردي ثابت رغم وجود (مينورسكي) في باريس آنذاك ، قالت وهي تعبر عن رأيها بصدد الموضوع .

– ان عدم نجاح المحاولة ، هي مسألة ادارية بحته ، حيث ان مينورسكي كان يحمل الجنسية الروسية ، وان القانون الفرنسي ما كان يسمح باعطاء وظيفة دائمية وخاصة في مجال التدريس لمن لا يحمل الجنسية الفرنسية ، لهذا بقي الموضوع معلقاً ، الى أن أخذ السيد روجيه ليسكو R – Lescot ، مهمة تدريس اللغة الكردية على عاتقه للفترة ما بين ١٩٤٨ – ١٩٥٠ ، عليه يمكن القول بأنه جرى تخصيص كرسي لتدريس اللغة الكردية منذ عام ١٩٤٨ .

إلاّ أن تكليف روجيه ليسكو ، بوظيفة دبلوماسية كبيرة في الخارج ، سنة ١٩٥٠ ، أحدث فراغاً كبيراً ، وبادر السيد ليسكو حينذاك بمفاتحة الدكتور كامران بدر خان الذي كان له مكتب محاماة في بيروت ، وكان يتمتع بوضع مالي جيد ، فاتحه ليضطلع بتدريس اللغة الكردية في هذا المعهد . . الاّ أن النظام الفرنسي ما كان يجيز منحه راتباً لكونه غير فرنسي .

التدريس بدون مقابل

وتسترسل السيدة جويس بلو في حديثها ، فتقول نقلاً عن الدكتور كامران بدر خان ، بانه انتقل الى باريس ، وأبلغ ادارة المعهد ، بانه سوف يقوم بالتدريس بدون راتب وتبرعاً ، ريثما يجدون وسيلة . . فاشتغل بامور تجارية وفي المحاماة لتدبير امور معيشته ، وأستمر يدرس بدون راتب لمدة (١٢) سنة . . اي الى سنة ١٩٦٢ . .

في عام (١٩٦١ – ١٩٦٢) ، تقرر منح الدكتور كامران بدر خان راتباً منتظماً ، فقد عمل ، اضافة الى وظيفة التدريس الثابتة ، عمل بصفة معلم مطبق (Repetiteur) حيث أن نظام

تعليم اللغات الأجنبية ، يقتضي وجود شخص ينتمي الى القومية التي تدرس لغتها ، او لهجاتها ، ليطبق ويعيد درس المدرس الاصلي ، بالخصائص اللغوية الأصيلة لتلك اللغة . ويوجد حالياً في المعهد حوالي مائة معلم مطبق من مختلف الجنسيات والقوميات ، مهمتهم اعادة دروس المدرس الاصلي – الرسمي ، لقاء اجور معينة .

● وتشير السيدة جويس بلو ، الى نقطة طريفة في حياة الدكتور كامران بدر خان . . فتقول :

– لقد بلغ الخامسة والستين من عمره سنة ١٩٦٠ ، إذ أنه من مواليد سنة ١٨٩٥ . . ان النظام الفرنسي يقضي باحالة المدرس على التقاعد في هذه السن . . الاّ ان ادارة المعهد ، كانت تنظر بتقدير كبير الى موقف الدكتور بدر خان الذي ظل يدرس الكردية طوال تلك السنوات بدون مقابل . . لهذا أستثني من شرط العمر . . فظل يدرس عشر سنوات اخرىٰ مقابل راتب . . فاحيل على التقاعد في سنة ١٩٧٠ وهو في الخامسة والسبعين من عمره .

● سألنا السيدة جويس بلو ، عن انطباعاتها في الدكتور كامران بدر خان ، ومتىٰ تعرفت عليه ؟ .

– تعرفت عليه في عام ١٩٥٩ . . كان استاذي ، وأني تعلمت منه الكثير حول الشعب الكردي . . كان شخصاً مثيراً للغاية ، قومياً ، ديبلوماسياً . يحاول بكل الوسائل الممكنة تعريف شعبه بالعالم . . كان يساعد كل من يتوجه اليه من بني قومه ، بغض النظر عن اتجاهاته السياسية وتطلعاته الفكرية . . ما كان يهمه ، ما اذا كان هذا الذي يساعده متفق مع توجهاته أم لا . .

فاذا كان اخوه جلادت بدر خان ، (وكلاهما درسا القانون في المانيا ، حيث كان كامران يحمل الدكتوراه في القانون من جامعة لايبزك) . . أقول اذا كان جلادت ميالا الىٰ العلم والثقافة ، فان أخاه كامران ، كان يميل اكثر الى الأمور السياسية .

الآخرون

● وطلبنا من السيدة جويس بلو ، أن تحدثنا عن ذكرياتها في مجال اللغة الكردية ، والاشخاص الذين عملوا في هذا الحقل . واجابتنا وهي تحاول استجماع خيوط الذكريات ، فذكرت لنا اسم السيد جون بيير فينوت (Jean Pierre Viennot) فقالت عنه :

– ان هذا الشخص ، كان مؤرخاً ممتازاً ، مولعاً بدراسة تاريخ الشرق . . لقد كلف بتقديم محاضرات عن الحضارة الكردية للفترة من ١٩٦٩ لغاية ١٩٧٤ . . كما انه قد زار العراق واماكن عديدة اخرىٰ . . الاّ أنه توفي سنة ١٩٧٤ في بلوجستان وهو في حدود الخامسة والاربعين ، توفي في حادث ، والمعروف بانه اصيب بمرض الكوليرا فمات على اثره .

● اما عن القس الدومينيكاني توما بوا (Tomas Bois) (١٩٠٠ – ١٩٧٥) ، تقول :

بعد أن استقر الاب توما بوا في باريس سنة ١٩٦٥ ، كان قاسملو هو الآخر مكلفاً بتقديم محاضرة اسبوعية عن التاريخ والحضارة الكردية للفترة ١٩٦٩ – ١٩٧٥ كان رغم شيخوخته موفقاً في عمله هذا .

● وتتذكر ايضاً ، اسماء بعض الذين عملوا في مجال تدريس اللغة الكردية بصفة معلم مطبق من الاكراد ، فتذكر اسم زوزك رواندوزي وهو كردي من العراق ، اذ عمل فترة مع الدكتور كامران بدر خان ، كما تذكر اسم محمد علي اصلاه ، وهو كردي من (قارص) اذ عمل فترة قليلة بصفة مطبق .

كما تذكر اسم الدكتور عبدالرحمن قاسملو، وهو كردي من ايران ، اذ عمل لمدة سنتين (١٩٧٦ – ١٩٧٨) بعد ذلك انيط العمل الى كردي عراقي هو هەلكەوت حەكيم .

ملاحظات اخرىٰ

● قبل أن اسجل بعض الملاحظات الأخرىٰ ، أود الاشارة بأن الدليل السنوي الذي يوزعه المعهد سنوياً ، يؤكد علىٰ أن اللغة الكردية ، لغة رسمية ومعترف بها في العراق . .

● وبعد ، أن الديبلوم الذي يمنحه المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية الحية في باريس ، يمكن تعادله بالليسانس (الشهادة الاولية) . . اما ما يتعلق بالدراسات العليا : (المتريز Maitrise) وديبلوم الدراسات المعمقة (D. E. A) . والدكتوراه بمختلف درجاتها ، فانها لا تدخل ضمن امكانيات هذا المعهد . . رغم ان هناك نخبة مّن الاساتذة من حملة دكتوراه الدولة او من الذين يحملون لقب بروفيسور (استاذ) والذين يحق لهم الاشراف علىٰ اطروحة الدكتوراه ، يعملون في هذا المعهد بصفة مدرسين او محاضرين . . ان معظمهم ، يعملون في جامعات ومعاهد عالية اخرىٰ ، وخاصة في وحدة الدراسات والبحوث الشرقية والعربية وشمال افريقيا والهند في جامعة السوربون الجديدة /باريس ٣ ، وهي تعتبر واحدة من اكبر واشهر الوحدات ، ليس في فرنسا وحدها ، بل في اوروبا ايضاً . . حيث يعمل فيها مجموعة من الاساتذة المتخصصين في مختلف مجالات الدراسات الشرقية والاسلامية ، ويرأسها في الوقت الحاضر البروفيسور محمد أركون وهو متخصص معروف في حقل الدراسات العربية والاسلامية ، وتعمل ضمن اطار هذه الوحدة ، اضافة الى معهد الدراسات العربية ، معهد الدراسات الايرانية الذي يرأسها البروفيسور شارل هنري دو فوشيكور (C. – H. de Fouchecour) ومعهد الدراسات التركية الذي يرأسها البروفيسور بازان Bazan اضافة الىٰ اقسام اخرىٰ . .

ان شروط القبول والأستمرار في الدراسة في جامعة السوربون الجديدة ، باريس الثالثة ، وعلى الأخص في مجال الدراسات العليا ، شروط صعبة ، وأساتذتها يتسمون بقدر كبير من الجدية ، فلا غرابة أن نرى بأن البعض لا يستطيعون الحصول على الدكتوراه إلاّ بعد مرور (١٥) عاماً بعد الدراسة الجامعية ! . . ويتجنب بعض الطلاب دخول هذه الجامعة ، ويختارون جامعات أخرىٰ .

● واخيراً ، أقدم هذا الملف المتواضع بين يدي القراء والمهتمين ، وأنا موقّن ، بأنه مدخل عام للموضوع ، وأرجو من الذين لهم معلومات جديدة ، وخاصة فيما يتعلق بتدريس اللغة الكردية ، أن يبادروا بالكتابة ، وذلك لأغناء الموضوع اكثر . .

عبدالله محمد أحمد حداد
باريس – جامعة السوربون
١٦/ تموز /١٩٨٦

هوامش

١ – البحث معد باللغة الفرنسية بعنوان :

(Le Sheikh Reza Talebani (1835 – 1910) Atravers Sa Poesie Kurde, Persane, et turque)

اي : الشيخ رضا الطالباني من خلال شعره الكردي ، الفارسي والتركي ، جرىٰ اعداده باشراف البروفيسور عبدالغفور روان فرهادي ، ونوقش بتاريخ ١٩٨٤/٦/٢٦ في جامعة السوربون ، وكانت لجنة المناقشة عبارة عن السيد فرهادي ، السيدة جويس بلو ، البروفيسور بكي كرامو . حيث قررت اللجنة منحي ديبلوم المتريز بدرجة جيد . والبحث مطبوع بالآلة الكاتبة .

أما موضوع ديبلوم الدراسات المعمقة (D. E. A) (الماجستير) فكان بعنوان :

(Recen Sement et Eva Luation des Sources de L'Histoire de la Litterature Kurde de 1820 1920)

اي «عرض وتقييم مصادر دراسة تاريخ الادب الكردي للفترة من ١٨٢٠ – ١٩٢٠» ، دافعت عنهُ في جامعة السوربون بتاريخ ١٩٨٥/٦/٢٧ وهو مطبوع علىٰ الآلة الكاتبة ، حيث قررت لجنة المناقشة منحي ديبلوم الدراسات المعمقة (D. E. A) بدرجة جيد جداً ، وهي اعلىٰ علامة لهذه المرحلة (اي الماجستير) .

٢ – ولد مينورسكي سنة ١٨٧٧ بالقرب من موسكو وتوفي سنة ١٩٦٦ في لندن ، للمزيد من التفاصيل عن حياته ، راجع المقدمة التي كتبها الدكتور معروف خزندار لكتاب «الاكراد ملاحظات وانطباعات» بغداد ١٩٦٨ ، ص (٥ – ١١) .